سلسلة الرسائل (١)

رسائل

إلى الطبيب المسلم

إعداد الدكتور

طارق بن محمد عبد الله الخويطر

تقديم

فضيلة الشيخ
عبد الله بن عبد العزيز العقيل

فضيلة الشيخ
الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين




بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل إلى
الطبيب المسلم

ح) دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ

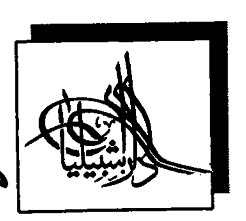
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخويطر، طارق بن محمد
رسائل إلى الطبيب المسلم/ طارق بن محمد الخويطر؛
الرياض ١٤٢٥هـ
٤٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٥-٨-٢-٩٥٤٢-٩٩٦٠
١- الوعظ والإرشاد ٢- الطب - الأخلاق المهنية أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٥/٣٦٨٤

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٦٨٤
ردمك: ٥-٨-٢-٩٥٤٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ـ ٤٧٧٣٩٥٩ ـ ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الدين النصيحة، وأرشد من شاء لنهج كل طريقة صحيحة.

وبعد: فقد أطلعني الدكتور طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر على رسالته التي وجهها إلى معاشر الأطباء، والمتضمنة النصيحة لهم في ما يقابلون به زبائنهم، وما يعالجون به مرضاهم، فوجدتها رسالة قيمة جمعت من النصائح المهمة التي يحتاجها كل من الطبيب والمريض، سواء في ذلك ما كان قبل العلاج أو حال العلاج أو بعد العلاج، وخصوصًا ما يتعلق بمراعاة نفسية المريض، والرفق به، وتشجيعه بما يقوي معنويته، وتوكله على الله، والبعد عما يزعجه ويرهقه، والمحافظة على أسراره، ولا سيما ما يتعلق بالكشف على المريضات وعلاجهن، فوجدتها رسالة قيمة مفيدة في بابها، نافعة بإذن الله لمن تعلق بأهدابها، وقد شكرته على هذه الهمة، وأوصيته بطبعها ونشرها، لعل الله أن ينفع بها.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال ذلك الفقير إلى الله

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل
ص . ب ٩٤٦٩١ . الرمز البريدي ١١٦١٤
الرياض . هاتف ٤٨٢٣١٠٣
المملكة العربية السعودية

التاريخ ٥/٥/١٤٢٥هـ

الحمد لله الذي جعل الدين النصيحة وأرشد من شاء لنهج كل طريقة صحيحة .

وبعد : فقد أطلعني الدكتور طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر على رسالته التي وجهها إلى معاشر الأطباء والمتضمنة النصيحة لهم في ما يقابلون به زبائنهم وما يعالجون به مرضاهم ، فوجدتها رسالة قيمة جمعت من النصائح المهمة التي يحتاجها كل من الطبيب والمريض ، سواء في ذلك ما كان قبل العلاج أو حال العلاج أو بعد العلاج ، وخصوصا ما يتعلق بمراعاة نفسية المريض والرفق به وتشجيعه بما يقوي معنويته وتوكله على الله والبعد عما يزعجه ويرهقه والمحافظة على أسراره ، ولا سيما ما يتعلق بالكشف على المريضات وعلاجهن ، فوجدتها رسالة قيمة مفيدة في بابها نافعة بإذن الله لمن تعلق بأهدابها ، وقد شكرته على هذه الهمة وأوصيته بطبعها ونشرها لعل الله أن ينفع بها ، .

قال ذلك الفقير إلى الله عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقا ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . ١٤٢٥/٥/٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأشكره، وأثني عليه وأستغفره، فلا إله لنا إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

وبعد: فقد قرأت هذه النصيحة الموجهة إلى الأطباء وأهل العلاج للأمراض الحسية، حيث إنهم يتولون أموراً مهمة وخطيرة، وهي العمل في أبدان البشر، والتي تتعرض للأمراض والأخطار والحوادث والمصائب، فيقومون بعلاجها، وتخفيف ما نزل بالمريض، والحرص على إزالته، حتى يحل بدله الشفاء التام، مما علمهم الله تعالى من معرفة الأمراض وتشخيصها وعلاجها بما فتح الله به عليهم. فقد قال النبي ﷺ: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله**»، وغير هذا من الأدلة، فطبيب الأبدان مؤتمن على علاج المرضى سواء احتسب في ذلك وتبرع بعمله أو كان موظفًا من قبل دولته حيث يبذل له ما يستحق من المكافأة والمرتب مقابل عمله في أحد المستشفيات أو المراكز الصحية، أو كان متاجراً بعمله يعمل لكل معالج ومريض بأجرة محددة، فإن عليه أن ينصح للمسلمين أو يخلص في عمله معهم، وأن يكون قصده نفع المراجعين، وإزالة الشدة والآلام التي نزلت بالمرضى؛ حتى يكون مستحقًا لما يأخذه من الدولة أو الأفراد. وهذا ما تضمنته هذه النصيحة التي كتبها وألفها الشيخ الدكتور طارق بن محمد الخويطر، فلقد أجاد فيها وأفاد وبذل الجهد الكبير في نصيحته للإخوان الأطباء، وهو ممن وفقهم الله

للعلم النافع والعمل الصالح، ويبذل جهداً في النصح والتوجيه للخاص والعام والأفراد والجماعات. فقد فتح الله عليه في هذه النصيحة التي كتبها من علمه وتجربته وممارسته لبذل الخير لمن يستحقه. فنوصي بنشر هذه النصيحة وتوزيعها على الأطباء والممرضين والمرضى أنفسهم، رجاء أن ينفع الله بها من أراد به خيراً. ونسأل الله أن يشفي مرضى المسلمين، وأن يزيل الضر عن المتضررين، وأن ينفع بجهود المخلصين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
عضو إفتاء متقاعد
١٤٢٥/١/٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأشكره وأثني عليه وأستغفره فلا إله لنا إلا الله ولا نعبد إلا إياه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وبعد فقد قرأت هذه النصيحة الموجهة إلى الأطباء وأهل العلاج للأمراض الحسية حيث أنهم يتولون أمورا مهمة وخطيرة وهي العمل في أبدان البشر والتي تتعرض للأمراض والأخطار والحوادث والمصائب فيقومون بعلاجها وتخفيف ما نزل بالمريض والحرص على إزالته حتى يحل بدله الشفاء التام بما علمهم الله تعالى من معرفة الأمراض وتشخيصها وعلاجها بما فتح الله عليهم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وغير هذا من الأدلة فطبيب الأبدان مؤتمن على علاج المرضى سواء احتسب في ذلك وتبرع بعمله أو كان موظفا من قبل دولته حيث يبذل له ما يستحق من المكافأة والمرتب مقابل عمله في أحد المستشفيات أو المراكز الصحية أو كان متاجرا بعمله يعمل لكل معالج ومريض بأجرة محددة فإن عليه أن ينصح للمسلمين أو يخلص في عمله معهم وأن يكون قصده نفع المراجعين وإزالة الشدة والآلام التي نزلت بالمرضى حتى يكون مستحقا لما يأخذه من الدولة أو الأفراد وهذا ما تضمنته هذه النصيحة التي كتبها وألفها الشيخ الدكتور طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر فلقد أجاد فيها وأفاد وبذل الجهد الكبير في نصيحته للإخوان الأطباء وهو ممن وفقهم الله للعلم النافع والعمل الصالح وبذل جهدا في النصح والتوجيه للخاص والعام والأفراد والجماعات فقد فتح الله عليه في هذه النصيحة التي كتبها من علمه وتجربته وممارسته لبذل الخير لمن يستحقه فنوصي بنشر هذه النصيحة وتوزيعها على الأطباء والممرضين والمرضى أنفسهم رجاء أن ينفع الله بها من أراد به خيرا ونسأل الله أن يشفي مرضى المسلمين وأن يزيل المنكر والمنكرات وأن ينفع بجهود الخيرين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

٤/١/١٤٢٠هـ

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

عضو الإفتاء متقاعد

(توقيع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يبتلي عباده المؤمنين بما شاء، والصلاة والسلام عل نبينا محمــد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد كتب الله جل وعلا على عباده الأسقام والأوجاع، وجعلها نعمة لمن صبر واحتسب، ففيها حطّ السيئات، ورفعة الدرجات، وتذكر نعمة الله التي لا يعرفها الكثير حتى يغشاه مرض من الأمراض، فيذكر نعم الله التي لا تحصى عليه، وكيف فرَّط بها، وقصَّر في شكرها.

ومن نعم الله على عبـاده أن أباح لمن أصيب منهم بشيء من هــذه الأسقام أن يبحث عن دواء لعلته فقال ﷺ: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**»[1].

وعن أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺوأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت عليه ثم قعدت، فجاء الأعراب من ها هنا وها هنا فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «**تداووا فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهَرَم**»[2].

بل وذكرت الأدوية الكثيرة في القرآن والسنة لهــذه الأمراض، فذكر العسل والحبة السوداء والحجامة والكي وغيرها..، ثم سخر الله جل وعلا من عباده من أعان المرضى فكانوا أطباء، وكانوا سببًا بعد الله في علاج إخوانهم وإدخال السعادة على محياهم.

---

(١) البخاري (٥٦٧٨).

(٢) أبو داود (٣٨٥٥) والترمذي (٢٠٣٨) وابن ماجه (٣٤٣٦).

ولست في هذه الرسالة الصغيرة متكلمًا عن المرضى والأمراض، وما ورد فيها من الأحاديث والآثار، وإنما قصدت مخاطبة الأطباء الذين يذهبون إليهم هؤلاء المرضى، يبثون إليهم ما ألم بهم من أسقام وأوجاع، فأحببت أن أرسل لأخي الطبيب المسلم هذه الرسائل المختصرة، والتي قيدتها بعد مراجعة واستشارة، وأحسب -إن شاء الله- أنها لا تخلو من فائدة للطبيب وللمريض الذي يلقى السعادة بصلاح الطبيب ونصحه.

وبعض رسائلي هذه تحمل في طياتها نصيحة لك أخي الطبيب دفعني إلى ذلك قول الرسول ﷺ: «**الدين النصيحة قلنا: لمن، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

والعاقل اللبيب هو الذي لا يتأفف من النصيحة، فإنها لا تصدر إلا من شخص يحب لك الخير، ويرجو لك التوفيق والسداد والفلاح، وحسبك أن تعلم أن هذه الأمة تميزت عن غيرها من الأمم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا عرفت هذا فاشكر لصاحب النصيحة الذي خصك بنصحه، واقتطع جزءاً من وقته لأجلك، وكان دافعه إلى نصيحتك المحبة والتقدير، وحتى تعرف عظم النصيحة ومنزلتها عند المسلم العاقل قف قليلاً مع هذه الكلمات للخليفة الراشد العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يأتمر بأمره عشرات الدول، فقد وجه إليه

(١) مسلم (٥٥).

أحد محبيه نصيحة فكتب إليه عمر رضي الله عنه: «أما بعد فقد بلغني كتابك تعظني وتذكر ما هو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر، إن الموعظة كالصدقة، بل هي أعظم أجرًا، وأبقى نفعًا، وأحسن ذخرًا، وأوجب على المرء المؤمن حقًا، لكلمة يعظ بها الرجل أخاه ليزداد بها في هدىً رغبةً خيرٌ من مال يتصدق به عليه وإن كان به إليه حاجة، ولَمَا يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خيرٌ مما ينال بصدقتك من الدنيا، ولأن ينجو رجل بموعظتك من هَلَكَة خيرٌ من أن ينجو بصدقتك من فقر، فعظ من تعظه لقضاء حق عليك، واستعمل كذلك نفسك حين تعظ، وكن كالطبيب المجرِّب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا ينبغي أعْنَتَه وأعْنَتَ نفسه، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم، وإذا أراد أن يداوي مجنوناً لم يداوه وهو مرسَلٌ حتى يستوثق منه ويوثق له، خشيةَ أن لا يبلغ منه من الخير ما يتّقي منه من الشر، وكان طبه وتجربته مفتاح عمله، واعلم أنه لم يُجعل المفتاح على الباب لكيما يغلق فلا يفتح، أو ليفتح فلا يغلق، ولكن ليغلق في حينه، ويفتح في حينه»[1].

وإليك أخي الكريم بعض الرسائل التي سطرتها لك محبة ونصحًا وإرشاداً:

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص ١٣٦، ١٣٧.

الرسالة الأولى: نعمة الله عليك بوصولك هذه المرتبة:

أيها الطبيب المسلم إن نعم الله عليك كثيرة لا تحصى، ولكن بين يديك الآن نعمة تستلزم أن تلهج بالشكر المتواصل لله عز وجل، فقد أعانك بفضله ونعمته حتى صرت طبيبًا، وأسبغ عليك من نعمة العقل والصبر والجد ما أوصلك إلى هذه المهنة السامية، والتي ما استطاعها البعض لضعف فيه أو لصوارف أخرى ما استطاع أن يتجاوزها، فتذكر هؤلاء الذين تمنوا هذه المهنة ولم يستطيعوا، صبروا وصابروا وبذلوا ولكن ردتهم العوائق الكثيرة من قلة المال أو بعد عن الأهل، أو ظروف أخرى لو كان بعضها في طريقك لما واصلت وتفوقت، تذكر من دخل هذا المجال ولكن لم يكن عنده من الإمكانيات العقلية ما يؤهله للاستمرار، تذكر هؤلاء كلهم وإياك أن تنسى شكر نعمة ربك آناء الليل وأطراف النهار.

الرسالة الثانية: احتساب الأجر في علاج المرضى:

ولما وصلت إلى هذا المستوى وهذه الوظيفة السامية التي يقصدك بعد الله الكبير والصغير والرجل والمرأة والغني والفقير، فإياك أن تضيع الأجر الكثير الذي يأتيك بإذن الله بمجرد إحسان النية، فاحتسب في علاج المرضى الذين يأتونك، ولا يكن همك في أداء عملك مجرد أداء وظيفة، أو فتح عيادة، أو رزق كثير، بل قبل هذا وذاك أحسن نيتك وأنت تعالج مرضاك، وهذا لا يتطلب منك جهدًا كبيرًا، فالنية محلها القلب، وقلبك قريب لا تعجز عنه، فأدخل عليه وعلى عملك النية الصالحة. اجعل نيتك

في علاجك لمن يأتيك أن يتمكن من العبادة، وأن يكون عضواً صالحًا في المجتمع، وأن يكون ممن ينفع الله به الإسلام والمسلمين.

ولئن جاءك أحد يتميز على غيره بالدين والتقوى والعلم النافع والنصح للمسلمين فعنايتك به دليل على حبك للخير وحرصك عليه.

وتذكر كل وقت قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

فانظر رعاك الله إلى الفعل واحد وهو الهجرة، ولكن الأجر تخلف عندما كانت الهجرة لأجل الدنيا، والأطباء في كثير من الحالات عملهم واحد ولكن يزيد أجر من أحسن نيته منهم، واحتسب الأجر على من لم تصاحبه النية الصالحة في عمله.

الرسالة الثالثة: المبادرة إلى الصلاة حين سماع الأذان:

وإكمالاً لاحتسابك وشكرك لنعمة المولى الذي أوصلك إلى ما أنت فيه، فمهما تكن في عمل، فمتى سمعت النداء «حي على الصلاة حي على الفلاح» فانهض مسرعًا إلى المسجد لأداء الصلاة مع الجماعة الأولى، فأنت قدوة لغيرك في المستشفى، وإياك أن تنصح غيرك وتصف

---

(١) البخاري (٦٦٨٩) ومسلم (١٩٠٧).

الدواء له وأنت أحوج الناس إلى نصائحك، وتذكر قول الشاعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوي الناس وهو عليل

وقول الآخر:

عوِّد لسانك قلة اللفظ

واحفظْ لسانك أيما حفظ

إياك أن تعظِ الرجال وقد

أصبحت محتاجًا إلى الوعظ

وقول الآخر:

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى

كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى

بالعلم منك وينفع التعليم

واحذر أن يقال للمريض:

يا طالب الطب من داء أصبت به

إن الطبيب الذي أبلاك بالداء

أو يتمثل المريض نفسه :

متى أرتجي يـومـًا شــفاءً من الضنى

إذا كـان جـــانيــه عــلـــي طـبـيـبـي

إلا إن كانت حالة المريض حرجة خطيرة فللضرورات أحكام خاصة .

وإياك أن تكون ممن تهاون في الصلاة فلا يحضر إلا متأخراً ولا تراه إلا يقضي الصلاة، أو يصلي وحده، أو يؤخرها بدون سبب، وأقبح من ذلك وأشد من يؤخرها لغير عذر حتى يخرج وقتها، ولو علم ذاك المتأخر عظم الصلاة في الإسلام، وحال السلف في المحافظة عليها لبادر إليها، وكيف يتأخر عنها ويتخلف من يسمع قوله تعالى : ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله عز وجل : ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩] وغيرها من الآيات؟!، وكيف يتخلف عنها من يسمع الأحاديث والآثار الكثيرة في عظم الإثم في تأخيرها والتخلف عنها، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له فلما ولى دعاه فقال له : «**هل تسمع النداء بالصلاة، قال: نعم، قال: فأجب**»[1]؟!

وأين أنت أخي الكريم من هذا الأعمى العاجز الذي بدا ضعفه وعذره. ؟!

---

(١) مسلم (٦٥٣).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة، فتُقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حُزَمٌ من حطب إلى قوم لا يَشهدون الصلاة فأحَرِّق عليهم بيوتهم بالنار**»(١).

فانظر أخي الكريم إلى عظم هذا الأمر وهو التخلف عن الصلاة، إذ جعل الرسول ﷺ ذلك صفة من صفات المنافقين وهمَّ بتحريق بيوتهم، فكيف ترضى نفسك وتطيب بمشابهة هؤلاء؟!

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سرّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليُحَافظْ على هؤلاء الصَّلَوَات حيثُ يُنَادَى بهنَّ، فإن الله شَرَعَ لنبيكم ﷺ سُنَنَ الهُدَى وإنَّهُنَّ من سُنَن الهُدَى، ولو أنكم صلَّيتُم في بيوتكم كما يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ في بيته لتركتُم سُنَّةَ نبيِّكُمْ، ولو تركتُم سُنَّةَ نبيكم لَضَلَلْتُم، وما منْ رَجُل يَتَطَهَّرُ فيُحْسنُ الطُّهُورَ ثم يَعْمدُ إلى مسجد من هذه المساجد إلا كَتَبَ الله له بكُلِّ خَطْوَة يَخطُوها حَسَنَةً، ويَرْفَعُهُ بها دَرَجَة، ويَحُطُّ عنه بها سيئة، ولقد رأيتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق، ولقد كان الرجُلُ يُؤْتَى به يُهَادَى بين الرَّجُلَيْن حتى يُقَامَ في الصَّفِّ»(٢).

---

(١) البخاري (٦٥٧) ومسلم (٦٥١).

(٢) مسلم (٦٤٥).

واحذر أخي مشابهة هؤلاء المنافقين المتخلفين عن الجماعة فقد وصفهم المولى جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، وتذكر قول الرسول ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صَلُحَتْ فقد أفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خَابَ وخَسِرَ**»[1].

الرسالة الرابعة: حاجة الطبيب إلى العلم االشرعي:

وستجد أخي الطبيب من بعض مراجعيك من يجهل كيفية الطهارة والصلاة مع مرضه الذي يصاحبه، وقد لا يجهل ذلك ولكن يعتقد أن استعمال الماء أو الصلاة على هيئة مخصوصة يتأخر معها البرء، أو يزداد المرض بسببها، فإكمالاً لنفعك، وزينة لعملك، فإن العلم الشرعي لك جمال وكمال، وبخاصة إذا كان يتعلق بتخصصك، وأنا ضارب لك مثلاً:

فإن كنت مثلاً طبيب عظام فإن من الكمال حتى ترشد مريضك أن تعرف أحكام المسح على الجبيرة، وطريقة المسح، ومدته، ومتى يجوز، ومتى يتيمم المريض عن الجبيرة، ومتى يجمع بين المسح والتيمم، ونحو ذلك لتلقي ذلك على المريض بعبارة سهلة يفهمها ويحرص على تطبيقها.

ومثل ذلك الطبيب الجراح فإن عليه أن يتعلم الأحكام الشرعية

(١) الترمذي (٤١٣) والنسائي (٤٦٤، ٤٦٥).

لجراحته، فيعرف مثلاً ما يتعرض له المريض من خروج دم وهل يمنع الصلاة، أويمنع الصيام إذا كان المريض امرأة.

والآثار المترتبة على عمليات القلب كثيرة جداً، ولذا فالمريض يعاني فترة طويلة من الآلام والأوجاع، وقد يؤدي العبادات في هذه الفترة على وجه غير صحيح، فواجبك كطبيب أن تبين له ما يمتنع عنه، ومالا يضره، فإن المريض في مثل هذه الحالة كثير التوهم، قليل الاستجابة فيما يظن أنه يضر صحته، وبخاصة إذا كان الموجه غيرك.

ومثل هذا وذاك طبيب العيون، فإن عليه أن يرشد مريضه إلى طريقة غسل الوجه، ومسح مكان الجراحة، وكيفية الصلاة، والسجود، وطريقة الإيماء، ومدة الرخصة في ترك السجود أو الركوع، وغيرهما من أركان الصلاة.

وكذا طبيب الأنف والأذن والحنجرة، فيتعلق بعمله طهارة الوجه والفم والأنف فيرشد المريض إلى كيفية المضمضة والاستنشاق، ومتى يمتنع عنهما أو يخففهما، وطريقة الغرغرة وأثرها على الصيام مثلاً.

وطبيب الجلدية كثيراً ما يستخدم مرضاه المراهم، وهذا يتطلب منه أن يميز هو بين ما يمنع وصول الماء في الوضوء إلى أعضائه ومالا يمنع، ثم إن كان يمنع من وصول الماء في الوضوء أو الغسل عليه أن يرشد المريض متى يضع العلاج، وكيف يزيله إن أراد طهارة.

ويشكل على بعض المرضى أحيانًا كيفية التطهر في البدن أو الثياب إن كانت العلة في المسالك البولية، وهذه المشكلة التي تشغل هؤلاء المرضى يكون حلها في كلمات ذلك الطبيب المتفقه وتوجيهاته.

وحاصل الكلام أن المريض ينظر إليك نظرة الموجه الآمر المطاع، لا يناقشك في طريقة العلاج، وكيف يكون، وهذا فيما يتعلق ببدنه فمن باب أولى أن تعرض عليه ما يتعلق بدينه، لا سيما وهو ينصت إليك إنصاتًا لا يكون لغيرك، فكن قائدًا له للفوز في الدنيا والآخرة، وإياك أن تمضي معه الساعات والأيام الطوال تشرح له طريقة علاجه وتناوله للدواء، وتبخل عليه بدقائق تمضيها معه في مهمات دينه.

وأياً كان علمك أخي الطبيب فإن تخصصك بحاجة إلى تعلم وتفقه، فالمريض في أحيان كثيرة يراك طبيبًا وشيخًا يسألك عن أمور دينه ودنياه، وغالبًا ما يشتاق إلى تعليماتك فيما يتعلق بمرضه، فلا تحرمه من التوجيه الشرعي الذي تتوقف صلاته وعبادته عليه، ولتكن إجاباتك له مبنية على علم ودليل، حتى لا تكون من الذين يقولون على الله بغير علم، فتبوء بخسران، وأي شيء أكبر وأعظم من خسارة الدنيا والآخرة.

وقد لا يُعرِّج المريض في السؤال على أحد غيرك، فتكون فرصة ضاعت على المريض، وكان بإمكانك الاستفادة منها، ومع ذلك قصّرت وتكاسلت، فكيف لا تلوم نفسك وتبذل جهدك؟!

وثم أمر آخر مهم وهو أنك في توجيهاتك الشرعية لا تنتظر سؤال المريض واجعل إجابتك له وشرحك فيما يتعلق بأمور دينه متصلاً بإجابة سؤاله عن حاله وعلاجه، لأن المريض إن غفل عن هذا -أعني السؤال عن أمور دينه- فلا تغفل أنت عنه، فإن المريض عرض عليه ما يشغله عن السؤال، وأنت في وضع تعودت فيه على مثل حالته وإن كانت خطرة، فزال عنك الانشغال والارتباك، وقد كفاك أخي الطبيب فقهاؤنا رحمهم

الله مؤونة كبيرة، فألفوا الرسائل والكتب في أحكام المريض فاحمل جزءاً من هذه المؤونة، وليكن حظ المريض منك أن ترشده إلى اقتنائها، وإن لم يستطع لسبب أو لآخر فاحتسب الأجر بشرح هذه الأحكام له حتى تطمئن أنه فهم واستوعب، ويكفيك فخراً أنك تعينه على أداء أعظم أركان الإسلام.

ولاحظ أخي الطبيب أنك إن أرشدت المريض إلى تطهر خاص، أو كيفية معينة في الصلاة فكن متأكداً أنه لو فعل أكثر مما وصفت تضرر، حتى لا تكون ممن تساهل في أداء الشعائر، ولاحظ أيضًا تنبيه المريض أن الكيفية في التطهر والصلاة وغيرها من الأحكام تتغير بنقصان المرض أو زواله، حتى لا يستمر على الرخصة مع زوال العذر.

الرسالة الخامسة: عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية:

واعلم وأنت تمارس عملك أنه سيكون من مراجعيك نساء مرضى، فإن كانت مراجعتهم لك ضرورة أو حاجة ولا يستطعن مراجعة طبيبة فتقيد بأمر الرسول ﷺ حيث قال: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأة**»[1] ولفظ مسلم[2]: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأة إلا ومَعَهَا ذو محرم**»، وقال ﷺ: «**لايَخْلُونَّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالِثَهُما الشيطان**»[3] وقال: «**لا تَلِجُوا على المُغيبَات فإن الشيطان يجري من أحدِكُم مَجْرَى الدم**»[4] والمغيبة المرأة التي يكون زوجها

---

(١) البخاري (٣٠٠٦) ومسلم (١٣٤١).

(٢) مسلم (١٣٤١).

(٣) الترمذي (١١٧١).

(٤) الترمذي (١١٧٢) والدارمي (٢٧٨٢).

غائبًا.

وعن مولى عمرو بن العاص أن عمرو بن العاص أرسله إلى علي يستأذنه على أسماء بنت عميس فأذنَ له، حتى إذا فَرغَ من حاجته سأل المولى عمرو بن العاص عن ذلك فقال: إن النبي ﷺ نهانا - أو نهى - أن ندخُلَ على النساء بغير إذن أزواجهن(١).

وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: «لا تَخْلُونَّ بامرأةٍ لا تَحِلُّ لك وإن أقرأتَها القرآن»(٢).

فهذا الخليفة الراشد في أفضل القرب إلى الله وهي قراءة القرآن ينهى عن الخلوة؛ لأن مفسدتها تطغى على فضل قراءة القرآن وتعليمه، فما ظنك بخلوتك مع المريضة وهي ليست قربة إلى الله، وأحيانًا كثيرة ليست ضرورة بل ولا حاجة؟!

قال ابن القيم في أمثلة سد الذرائع: أنه ﷺ حرم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن والسفر بها ولو في الحج وزيارة الوالدين، سدًا لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع(٣).

ومهما يكن من أمر فإياك والخلوة فإنها بريد الزنى والعياذ بالله، ولتكن بدينك أتقى وأورع وأحرص من امرأة قدمت إليك بلا محرم، أو من رجل فرّط وقصّر في مصاحبة زوجته أو أخته أو إحدى محارمه، فإن

---

(١) الترمذي (٢٧٧٩).
(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز لعمر بن محمد المعروف بالملاء ٢/ ٤٦٧.
(٣) إعلام الموقعين ٣/ ١٣٩.

قدمت هذه المرأة فأدخل معها امرأة أخرى، واعلم أن المجتمع بأسره ينظر إليك نظرة الثقة والعفة والطهارة والمسؤولية، فحذار أن تجحد هذه النعمة وتفقدهم هذه النظرة بأي تصرف غير شرعي يصدر منك، واحمد الله على نعمته عليك، وإياك أن تجر هذه النعمة مصائب ومفاسد، وتمثَّل بقول الشاعر:

أنا عائذ بالله من شر نعمة تقرّ بها عيناي فيها رداهما

الرسالة السادسة: جواز الكشف على موقع الألم فقط:

وإذا ما تحققت ضرورة الكشف على المرأة وانتفت الخلوة فمن كمال دينك وأمانتك ألا تكشف إلا على موضع الألم فقط ولا تتعداه، فهذا الذي أبيح للضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، وغير موضع الألم لا يجوز الكشف عليه بحال.

وكما حل لك الكشف على موضع الألم للضرورة فهناك أمر آخر مهم وهو أن الضرورة تقدر بقدرها، فمتى انتهت ضرورة الكشف على مكان الألم رجع الأمر إلى الحرمة، وكل وقت تمضيه في الكشف على محل الألم بعد انتهاء الضرورة فأنت آثم متجاوز للحد الشرعي؛ لأن النظر محرم وإنما أبيح للضرورة وقد زالت، فالأمر يرجع إلى ما كان عليه.

الرسالة السابعة: حفظ أسرار المريض:

وستجد كثيراً من مراجعيك يفضي إليك بجُلِّ أسراره، وخفايا فؤاده، وأحاسيس نفسه، يدفعه لذلك أمور:

أولها: شكايته من مرضه، وحرصه على العلاج الناجح السريع،

ضارباً بقيمة أسراره عرض الحائط ما دامت شكايته طالت، وآلامه ازدادت، ولياليه بأيامه اتصلت.

وثانيها: أنه لا يُميز بين ما تحتاجه أنت كطبيب من هذه الأسرار لعلاجه وبين ما لا تحتاجه، ولذا فهو ينثر بين يديك كنانته، تاركًا لك الحرية في اختيار ما تريده وتحتاجه من هذه الأسرار، لعلاج وجعه وتخفيف آلامه.

وثالثها: ثقته الكبيرة فيك، فأنت محط الآمال بعد الله عنده، يراك سترًا لهذه الأسرار، وصديقًا رحيمًا مشفقًا تحرص كل الحرص على تقديم ما يحتاجه، فإياك بعد هذه الثقة من هذا المسكين المضطر أن تعلن ما اطلعت عليه من عيوب خَلْقيه فيه، أو أن تفضي شيئًا من أسراره، أو تستخدمها لغرض أو لآخر، فقد ائتمنك لما أعطاك ما بجُعْبته، فلا يكن فيك خصلة من خصال المنافق فإنه إذا ائتمن خان. كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا ائتمن خان** »[1].

الرسالة الثامنة: مراعاة نفسية المريض:

وإذا كان عدد كبير من المراجعين من هؤلاء المضطرين الذين اتصلت آلامهم، وسهروا لياليهم، واسودت الدنيا في وجوه كثير منهم، وضاقت عليهم الأرض برُحبها، فراع أيها الطبيب العاقل نفسية هؤلاء، وإياك أن تخبره بشيء يدخل عليه الحزن واليأس والقنوط، واعلم أن مخرج الكلام الحسن والكلام القبيح واحد هو الفم، فكن سبّاقاً لكل كلام حسن

(١) البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

وعبارة لطيفة تدخل السرور على هذا المريض، وقد كان ﷺ يعجبه الفأل وهي الكلمة الطيبة الحسنة[1]، حتى وإن كان المرض خطيراً فاعرضه على المريض على أنه يمكن علاجه، وأن الله لا يعجزه شيء، واختر من القصص التي مرت عليك وأنت تمارس عملك قصصًا لأناس تعرضوا لأمراض خطيرة أخطر من مرض الذي أمامك فشفوا بإذن الله، وكن على يقين أن علاج نفسية المريض أهم بكثير من علاج جسده، فلا يكن تحطم نفسيته على يديك، وبخاصة أنه قدم إليك واثقًا لينقذ مرض جسده وأوجاع نفسه، إلا إن كان في إخباره بخطورة مرضه مصلحة ظاهرة له أو لأهله، أو طلب منك المريض نفسه ذلك، وكان قوي النفس، ثابت الأركان، تتيقن بإذن الله أنه لن ينهار أو يتسرب إليه يأس، أو يتمكن قنوط منه، فأخبره بمرضه وأنت تقصد المصلحة له أو تخاف فوت شيء يتضرر المريض بفواته، وأنت مع ذلك الإخبار والصراحة لا تعدم المريض الأمل والطموح في العلاج والشفاء.

الرسالة التاسعة: الحرص على دعوة المريض:

وإذا كان الشخص قويًا شرسًا معاندًا حال صحته فهو في مرضه يفقد جُلّ هذه الصفات في غالب الأحيان، فتجده ضعيفًا رقيقًا بكّاء، متقبلاً لكل تعليمات تملى عليه، أو أمور تطلب منه، فاستغل ذلك في دعوته لكل خير، وبخاصة إذا كنت تعرف شيئًا من تقصيره في حقوق الله، أو حقوق أهله وأولاده، أو نقل لك ثقة ذلك.

---

(١) البخاري (٥٧٥٦) ومسلم (٢٢٢٤).

ذكِّره بخطورة المعاصي التي وقع فيها إن كانت ظاهرة، واذكر له قول الرسول ﷺ: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ في قلبه نُكْتةٌ سوداء، فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب سُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تَعلُو قلبه وهو الران الذي ذكره الله:** ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[١]، وأخبره بآثار الذنوب الكثيرة ومنها موت القلوب كما قال عبدالله ابن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب

وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب

وخير لنفسك عصيانها

ومنها: حرمان العلم، وحرمان الرزق، ووحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازيها ولا تقارنها لذة أصلاً، ووحشة تحصل بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير منهم، وتعسير أموره عليه فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه أو متعسراً عليه، وظلمة يجدها العاصي في قلبه حقيقة يحس بها، ومنها أيضًا أن المعاصي توهن القلب والبدن، ومنها حرمان الطاعة، ومنها أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته، وهي كذلك تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضًا، وتضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، وينسلخ القلب من استقباح المعصية فتصير له عادة، فلا

(١) الترمذي (٣٣٣٤) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢٤٤).

يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه، وسئل لقمان: أي الناس شر، قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئًا[١].

ومن آثار المعاصي أنها سبب لهوان العبد على ربه، ولا يزال العبد يرتكب الذنب حتى يهون عليه، ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، ومن آثارها أنها تورث الذل، وتفسد العقل، وتدخل العبد تحت لعنة الله، وتحرمه من دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة، فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [غافر: ٧ - ٩].

والذنوب من أقوى الأسباب الجالبة لجهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، ومن أقوى الأسباب الجالبة لزوال نعم الله، وتحول عافيته إلى نقمته، وتجلب جميع سخطه.

وآثار الذنوب كثيرة جدًا يمكن مراجعتها في الكتب المطولة[٢].

والمريض الذي أمضى وقتاً من حياته في هذه الذنوب والمعاصي يحتاج إلى تذكير بفضل الله ورحمته فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ**

---

(١) تفسير الجلالين - سورة لقمان عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ...﴾ آية (١٢).
(٢) انظر على سبيل المثال الجواب الكافي لابن القيم ص ٧١ وما بعدها.

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ثم بعد أن تصف له الداء الخطير الذي وقع فيه وهو داء الذنوب والتقصير افتح له آمالاً بالتوبة، فعرفه بشروطها وأنها تَجُبُّ ما قبلها، وأن المريض سيبدأ حياة جديدة، وصفحة بيضاء، لا يعرِّج فيها على ذنب بل يعاهد الله أن يكون عبداً مطيعًا صادقًا في توبته، وما أحسن أن يسمع المريض حديث الرسول ﷺ: «**تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[1] ليعلم كم غفل عن طاعة الله ومراقبته في حالة صحته وكيف ذكره في حال المرض واحتاج إليه، والحق أن هذه فرصة للمريض بأن يراجع نفسه، ويقلع عن معاصيه، ويعاهد المولى جل وعلا على أن لا يعود إلى ما كان عليه من الذنوب والخطايا، وإذا كانت هذه فرصة سنحت لك أيها الطبيب العاقل فلا تدعها تفوت، فربما لا تسنح مرة أخرى مع المريض نفسه، فتكون مضيعًا لعمل عظيم هو إصلاح فرد من أفراد مجتمعك الذي تعيش فيه، وبهذا تجمع بين طب الأبدان وطب القلوب، وأكرم بها من وظيفة، قلَّ من حظي بها، ونال شرفها وأجرها، وعلو مكانتها.

الرسالة العاشرة: توجيه المريض ونصحه ورفع معنوياته:

وهذا المريض الذي أضناه المرض فأسهره وأتعبه وأقضّ مضجعه وأبكاه، وحرمه لذة النوم والأكل، وربما الحديث، قد تضعف عقيدته وهو في أمسِّ الحاجة في هذا الوقت إلى قوتها، فترى بعض هؤلاء

(١) رواه أحمد ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، وعبد بن حميد في المنتخب (٦٣٥).

المرضى يتعلق بالطبيب أو بالدواء تعلقًا يُخل بعقيدته، فيخرج من داء المرض ويقع في داء أخطر قد يفقده عقيدته، فإذا رأيت أمارات هذا التعلق عند المريض فابذل جهدك ووسعك وأرشده إلى التعلق بالله مبينًا له فضله وعظيم أجر من تعلق به، وهنا تأتي ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنه بتقدير الله سبحانه وله في خلقه حكَمٌ قد لا يدركها المصاب، وذكِّره بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦]، وبقوله جل وعلا: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[غافر: ٦٠]، وبقوله عز وجل: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: ٥٥].

ذكِّره بأن الله لا يخيب رجاء من رجاه، وأنه يجيب دعاء المضطر، ولعلك تسمعه قوله جل وعلا: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾ [النمل: ٦٢]، وهو سبحانه الكريم الذي لا يرد يدي الداعي صفرًا، كما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم حَيِيٌّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردَّهما صِفْراً**»(١).

انصحه أن يكثر الدعاء ولا يستعجل الإجابة فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل: يقول دعوت فلم يستجب لي**»(٢)، واشرح له آداب الدعاء من التضرع،

---

(١) أبو داود (١٤٨٨) واللفظ له، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥).
(٢) البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥).

والخشـوع، ورفع اليـدين، واسـتقبـال القبـلة، والانطراح بين يدي الله تعالى، واذكُرْ له الأوقات التي يتحرى فيها الدعاء مثل آخر الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وحال السفر، وحال نزول المطر، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعـود الإمام يوم الجمـعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وغير ذلك.

عرِّفه بالرقية الشرعية ليرقي نفسه فيقرأ الفاتحة، وقصار السور، وبعض الآيات من القرآن الكريم وكله شفاء، قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال جل وعلا: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ [فصلت: ٤٤]، ويقرأ أيضًا بعض الأدعية الصحيحة فينفث على نفسه أو يرقيه رجل صالح معروف بالعبادة والصلاح والورع والزهد.

الرسالة الحادية عشرة: حث المريض على الصبر وتذكيره بصبر الأنبياء والصالحين:

ومع القراءة والرقية الشرعية والتعلق بالله يُذْكر للمريض بأن خير البشر وهم الأنبياء لم يسلموا من هذه العلل والأمراض والأوجاع، وأفضلهم نبينا محمد ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أشدَّ عليه الوجَعُ من رسول الله ﷺ[1]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يُوعك وعكاً شديداً فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك لتُوعَكُ وَعْكًا شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل إني**

---

(١) البخاري (٥٦٤٦) ومسلم (٢٥٧٠).

أوعَكُ كما يُوعَكُ رجُلانِ منكم، فقلت: ذلك أن لك أجرين، فقال رسول الله ﷺ: **أجل**، ثم قال رسول الله ﷺ: **ما من مسلم يُصيبُه أذًى من مَرَضٍ فما سواه إلا حطَّ اللهُ سيئاتِه كما تَحُطُّ الشجرةُ وَرَقَهَا**»[1].

ولكن الأنبياء مع ما أصابهم صبروا وظفروا، فليتخذهم المريض مثلاً وقدوة، فيصبر ويحتسب وقد قال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن:١١] قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

أخبره أن المصيبة إنما تهون عليه إذا صبر واحتسب الأجر، وتعظم إذا لم يصبر عليها أو تسخط منها، وقل له:

فإذا تصبك مصيبة فاصبر لها عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

ولعله إن ذكرته بعظم أجر الصبر وحسن ثواب الصابرين تدفق السرور إلى قلبه، وملأ جوانب جسده، وحلت الطمأنينة في روحه وقلبه.

وكيف لا يدخل السرور على هذا المريض وأنت تسمعه قول الرسول ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَب ولا همٍّ ولا حَزَن ولا أذًى ولا غَمٍّ حتى الشوكةِ يُشاكُها إلا كفَّر اللهُ بها من خطاياه**»[2] وقوله عليه الصلاة والسلام:

---

(١) البخاري (٥٦٤٨) مسلم (٢٥٧١).
(٢) البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣).

«**من يُردِ الله به خيرًا يُصبْ منه**»[١]، وإذا علم المريض أن الأمراض من جملة الابتلاء، وأنه على خير، اطمأنت نفسه، وسكن فؤاده، وزالت همومه، وعلم أن الله أراد به خيراً، والعاقل لا يكره الخير.

وما ظنك بمكانتك عنده وقد أدخلت عليه السعادة، وجعلته يتلذذ أحيانًا بذلك المرض إذا تيقن أنه مع الصبر يحطُّ الخطايا والذنوب، وإن لم تكن ثَمَّ ذنوب فهو رفعة في الدرجات.

الرسالة الثانية عشرة: الرفق بالمريض:

وربما وجدت من بعض المرضى صعوبة في الفهم، أو عسراً في الإدراك، أو كثرة في الأسئلة والاستفسارات، فعليك بالحلم، وتذكر نعمة الله عليك إذ جاءك هذا المريض مستغيثًا بك بعد الله ولَم تأت أنت إليه، فإذا شرحت له علَّته أو علاجه وصعب عليه الفهم، فأعد عليه ذلك بعبارة تراها أسهل وأسرع لفهمه وأسكن لنفسه، وأنت في إعادتك لكلامك تحمد الله سراً وجهراً أن فضلك على كثير من الناس، ووهبك فهمًا يتمناه غيرك لو عرض عليه بأموال الدنيا، فلا تكن نعمة الحفظ والفهم عندك داعية للتكبر على عباد الله، فإن الذي وهبك هذه النعم قادر على أخذها منك متى شاء، فحافظ عليها فبالشكر تدوم النعم.

الرسالة الثالثة عشرة: تحمل بعض ألفاظ المرضى:

وكأني بك وقد تتابع عليك المرضى، وتنوعت أساليبهم وألفاظهم،

---

(١) البخاري (٥٦٤٥).

وطريقة حديثهم، تغضبُ ويحمر وجهك، وذلك لسماعك منهم بعض العبارات، فكن حليمًا معهم، واعلم أن عيّ الصمت أحسن من عيّ الكلام، وأن صاحب الحاجة أعمى، وإياك أن تتكلم بكلام تندم عليه بعد ذلك:

رأيـــت اللـــســـان عـــلـــى أهـلـه
إذا ســـاســـه الجـهــل ليثًا مغيرًا

وليكن لسانك بأمرك:

وممــا كـــانت الحكـمـاء قــالـت
لـــســـان المرء مـن خـــدم الفـؤاد

فأثر اللسان خطير:

لســـانك كالســـيف فـي شـكلـه
وأعـــدى من الســيف في سطـوته

وعثرته خطيرة جدًا تفوق عثرة الرِّجل:

يموت الفتى من عثرة في لسانـه
وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْل
فعثرتــه من فيــه تــرمي برأســه
وعثرتــه بالرجــل تبــرا على مهل

وجنايته أشد من جناية غيره من الجوارح:

وإذا بســطت لســـان من لم ينهــه
دين فـــأين العـقـل والعـرفـــانُ

لا تـرض أن تبقى على أغلوطـة

يغشاك فيها السخط والشنآن

حفظ اللسـان عن القبيح أمـان

يـزكو به الإسـلام والإيمـان

وإذا جنايـات الجـوارحُ عُـدِّدتَ

فـأشـدها يجني علـيك لـسـانُ

من كفَّ كفَّ الناس عنه ومن أبى

إلا الخنـا فكمـا يـدين يـدانُ

وصدق القائل:

جراحـات السـنان لهـا التئـام

ولا يلتـامُ ما جـرح اللسـانُ

وإن أردت السلامة فاحفظ لسانك فقد قيل في المثل: (زُمَّ لسانك تسلم جوارحك)، واللسان عبد في حال السكوت وسيد إن ترك وأهمل:

لسان الفتى عبـد له في سكوته

ومـولىً عليه جائـر إن تكلـما

فلا تطلقنهُ واجعل الصمت قيده

وصيرْ إذا قيدتـه سـجنه الفما

والمرء بأصغريه:

وما المرء إلا الأصغران لسـانُـهُ

ومعقولهُ والجسم خلق مصورُ

وإن طرةٌّ راقتك فانظـر فـربما

أمـرَّ مــذاق العـود والعـودُ أخضـرُ

وإن رددت على من شتمك أو أخطأ عليك فقد شاركته في خطئه، وانقصت من قدرك ومنزلتك :

احفظ لسـان إن لقـيت مشــاتمًا

لا تجــريـن مــع اللئــم إذا جــرى

من يشتري عرض اللئيم بعرضه

يحوي الندامة حين يقبضُ ما اشترى

وعود لسانك قول كل خير تعش سالماً محموداً :

عوِّد لسانك قول الخير تحـظ به

إن اللســان لـمـا عــودت معتـــادُ

مـوكّـل بتقـاضي ما ســننت له

فاختر لنفسـك وانظــر كيـف ترتادُ

فإن أخطأ لسانك فقد تتعرض نفسك للإهانة والعيب :

كـادت سـنيٍّ إذا انطقت تقيم لــي

شخصًا يعــارض بـالعظات مـبكـتا

وتقول من بعـث اللسان بغير ما

أرضــى فــحق أن يهــان ويسـكتا

وليكن سكوتك على من تجاوز معك في الكلام وأخطأ عليك، دليل على قوة إرادتك، وشموخ عزيمتك، وكمال عقلك، ولا تحفل بلوم من يرى السكوت ضعفًا ومهانة، ولا تطلب رضاهم، ولا تلتفت لنقدهم ما دمت ترى السلامة والعقل والفلاح بترك الرد على المخطئ، والإعراض عن الجاهلين، واعلم بأن العافية في التغافل، ولا يحزن قلبك فرضا الناس غاية لا تدرك، وما سلم من الناس أحد:

وما أحد من ألسن الناس سالماً

ولو أنه ذاك النبي المطهرُ

فإن كان مقدامًا يقولون أهوجُ

وإن كان مفضالاً يقولون مُنزرُ

وإن كان سكِّيتًا يقولون أبكم

وإن كان منطيقًا يقولون مهذرُ

وإن كان صوامًا وبالليل قائمًا

يقولون كذاب يرائي ويمكرُ

فلا تحتفل في الناس بالذم والثنا

ولا تخش غير الله فالله أكبرُ

والمقصود أن زلة اللسان لا تقال، ورب كلمة قالت لصاحبها دعني:

لسان الفتى يدعى سناناً وتارة

حسامًا وكم لفظة ضربت عنقا

وكم كان اللسان سببًا في نهاية المتكلم:

كم في المقابـر من قتيـل لسـانـه

كانت تخـاف لـقـاءه الشـجعانُ

بل ربما كان سببًا كان في هلاك جماعة:

خل جنبيـك لـرام وامـض عنه بسـلام

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

رب لفـظ سـاق آجـال فئـام وفئـام

إنمـا السـالم من ألجـم فـاه بلجـام

وراعِ أخي الطبيب علمك ومكانتك ومكانك، وقبل أن تنطق بكلمة واحدة زِنْها فهذا هو العقل.

وزِنِ الكـلام إذا نطقـت فـإنما

يُبدي عُقولَ ذوي العقولِ المنطقُ

فكمال العقل حفظ اللسان:

لسان الفتى عن عقله ترجمانه

متـى زلَّ عقــلُ المرء زل لسـانه

وهذا المريض قد أمضى ليالي وأيامًا يتألم ويئن، فكن عاذرًا له، فقد دفعه إلى الكلام آلامه وأوجاعه، وهذا فيما إذا كانت عباراته خطأً واضحًا، لكن إن كانت عبارته محتملة للحسن ولغيره فأحسن الظن بأخيك، وإياك أن تحمل كلمته على المحمل الذي لا يليق، واحملها باطمئنان على المحمل الحسن، فإن ذلك أمارة صفاء السريرة، وسلامة

الصدر، وتفكر في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ولا تظننَّ بكلمة خَرَجَتْ من مسلمٍ شرًا وأنتَ تجدُ لها في الخير مَحْمَلاً»، وقول عمر بن عبدالعزيز: «أحسنْ بصاحبك الظنّ ما لم يغلبك»(١)، وعن عبدالعزيز بن عمر قال: قال لي عمر: «يا بني إذا سمعتَ كلمةً من امرئ مسلم، فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدتَ لها مَحْمَلاً من الخير»(٢)، وقد قيل في المثل: «سوء الظَّنِّ من شدَّة الضَّنِّ».

الرسالة الرابعة عشرة: المبادرة في أي وقت عند الطلب:

ومهنتك أخي الطبيب تستلزم وجودك في أوقات مختلفة، وأماكن متنوعة، وربما استدعيت في الهزيع الأخير من الليل لإنقاذ مريض، فإذا ما استدعيت في مثل هذا الوقت فامض مسرعًا، فقد يكون تثاقلك أو تأخرك سببًا في ذهاب روح، وعندها ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم، وسيقال لك: توبيخًا وسخرية ما ثمرة علمك الذي أمضيت فيه هاتيك السنين إذا كان المريض المضطر لا يستفيد منه وقت الحاجة؟!

وما الذي يضيرك لو فاتك جزء من النوم، أو تأخر شغل لك، وأنت في مقابل ذلك ترسم البسمة على محيا المريض، وتهديه السعادة، وتدخل السرور على أهله وذريته؟! ولعل في إنقاذ هذا المريض يكتب لك الأجر والثواب في كل عمل صالح يفعله، فأنت السبب بعد الله في بقائه وشفائه، وتذكَّر قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لعمر بن محمد المعروف بالملاء ٢/ ٤٧١.
(٢) المصدر السابق.

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وهذه نعمة جليلة يجب عليك شكرها إذ حاجات االناس تقضى على يديك:

الناس بالناس مادام الحياء بهم
والسعد لا شك تارات وهبات
وأفضل الناس ما بين الورى رجل
تُقضى على يده للناس حاجات

وربما رفع هذا المريض أكف الضراعة ودعا لك دعوة صادقة من سويداء قلبه تصادف من السماء بابًا مفتوحًا فيستجاب لها، فتكتب السعادة لك ولأولادك وأحفادك، وتصرف عنك المصائب والأسقام والأحزان والأتراح، ناهيك عن دعوات أخرى من أهل المريض ووالديه وذريته.

ومثل عملك هذا تكون خير قدوة لغيرك، يعرف به فضلك ويعلو به قدرك، ويحق لمن حولك ولمن عرفك أن ينظروا إليك نظرة الاحترام والتبجيل والتقدير، وتكون خير من جمع بين العلم والعمل والاحتساب والبذل وخدمة المسلمين، وهذا العمل - وأكرم به- أفضل طريق لسمو مهنتك وعلو تخصصك.

الرسالة الخامسة عشرة: استصحاب الدين والأمانة في العمل الخاص:

وربما سنحت لك فرصة فعملت في عيادة خاصة، أو مركز طبي خاص، فإن تهيأ لك ذلك فاعمل مستصحبًا دينك وأمانتك، وإياك إياك

أن تتخلى عن شيء مما كنت تؤمن به، فيُلمَّح لك أو يُصَرَّح بأن تطلب من المريض بعض الفحوصات أو التحاليل التي لا يحتاجها، خدمة لهذا المركز أو العيادة، ورفع دخله المادي أو إرضاء لأصحابه، فهذا نقص في الدين، وخلل كبير في الأمانة، وما قيمة رضا الناس إن كان رضاهم في سخط الخالق الرازق جل وعلا؟! فإن همَّتْ نفسك بتقديم رضاهم على رضا الله عز وجل فتذكر حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمسَ رضَا الله بِسَخَطِ الناس كَفَاهُ الله مُؤْنَةَ الناس، ومن التمسَ رضَا الناسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ الله إلى الناس**»[1].

والأحمق من باع دينه بدنيا غيره، وربما باع هذا المريض أعز ما يملك واستدان وأرهق نفسه لتوفير ما تطلبه، فكيف تقرّ عينك بشقائه؟! وكيف تنعم بتعبه وإرهاقه؟! وكل ذلك لأجل عرض من الدنيا زائل، فبعد أن كنت بلسمًا لهذا المسكين المضطر صرت شقاء، وبعد أن كنت حريصًا به حفيًّا صرت جشعًا أنانيًا، فما قيمة ما جمعته من هذا المسكين في مقابل تعبه وجهده وشقائه؟!

وأخطر من ذلك إن اكتشف المريض قلة أمانتك وكذبك، وسَخُنَ صدره عليك، ودعا عليك دعوة مظلوم مضطر، وحسبك بها، فكيف ترجو الفلاح وتأمل السعادة فقد صَفِرَتْ يداك من كل خير؟!

وكن يقظًا في عملك فإن طلب منك إرهاق المريض بأمور لا يحتاجها فانهض كالهزبر واصرخ بهم قائلاً: إن ديني أعز عليّ من أموالكم هذه، وإن أمانتي أغلى من أن أفرِّط بها مقابل عرض زائل

(١) الترمذي (٢٤١٤).

أعيَّرُ به كل وقت وأهان كلما تذكرته أو ذُكِّرته فكيف يهنأ لي بال؟!
وليكن شعارك إن عرضت عليك الأموال مقابل أمانتك وكرامتك قول بعضهم:

لقرص شعير ثافل غير مالح
بغير إدام والذي يسمع النجوى
مع العزِّ في بيتي وطاعة خالقي
ألذّ على قلبي من المنِّ والسلوى

وقول الشاعر:

أمت مطامعي فأرحت نفسي
فإن النفس ما طمعت تهونُ
وأحييت القنوع وكان ميتًا
ففي إحيائه عرضي مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد
علته مهانة وعلاه هون

وقول الآخر:

عبد المطامع في لباس مذلة
إن الذليل لمن تعبَّده الطمعْ
ولربما محق الكثير وربما
كثر القليل إلى القليل إذا جمعْ
والمرء أسلم ما يكون بدينه
عند التحفظ والسكينة والورعْ

وعليك بالقناعة فالرزق بيد الله تعالى :

اقنــع بمـــا ترزق يــا ذا الفتى

فليــس ينــســى ربُّـنــــا نَمْلَـهْ

إذا أقبـــل الدهـــر فقم قـائمًا

وأن تـــولـى مُـدبــرًا نـــمْ لَــــهْ

والفقر الحقيقي ليس في قلة المال وإنما هو إنفاق الساعات في جمع المال خوفاً من الفقر :

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص

على هبة فالفضل فيمن لـه الشكر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله

مخـافة فقـــر فالذي فعـل الفقـر

فإذا رزقت القناعة عشت حراً سعيداً حميداً كما قيل :

أطعت مطامعي فاستعبدتني

ولـــو أنـــي قـنعت لكـنت حــرًا

ومكان الفقر والغنى في النفس لا في المال كما يعتقده الكثير :

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه

ولا يـزيدك فيـــه حـول محتـــال

والفقر في النفس لا في المال نعرفه

ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

والغنى الحقيقي هو الكفاف والقناعة باليسير:

النفس تجزع أن تكون فقيرة
والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت
فجميع ما في الأرض لا يكفيها

وأخيراً تمثل بقول الشاعر:

خُلِقتُ عَيُوفاً لا أرى لابن حرة
لديّ يدًا أُغْضِي لها حين يَغْضَبُ

وكن على يقين أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه، ولا تغفل عن قول الرسول ﷺ: «**ومن يستَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومن يَسْتَغْنِ يُغْنه اللهُ، ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعطِيَ أحَد عَطَاءً خَيرًا وأوسَعَ من الصَّبْر**»[1]. وما قيمة العلم إذا دخله الجشع والطمع؟!

وأين كرامتك وكرامة علمك وأنت تخضع للخلق وتعشق الطمع:

لا خير في طمع يدني لمنقصة
وغفة من قوام العيش تكفيني
لاتخضعن لمخلوق على طمع
فإن ذلك وهن منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه
فإنما الأمر بين الكاف والنون

(١) البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٠).

إن الذي أنت ترجوه وتأمله

من البرية مسكين بن مسكين

وكيف أبدلت ثياب العز والشرف بثياب المذلة والطمع :

وإذا طمعت لبست ثوب مذلة

وبذا اكتسى ثوب المذلة أشعبُ

وكيف تركن كثيراً لجمع المال، وتحرص عليه، وهو سبب لهلاك أمم :

لا تُخدعنَّ بأطماع تزخرفها

لك المنى بحديث المين والخُدعِ

فلو كشفت عن الموتى بأجمعهم

وجدت هلكهم في الحرص والطمعِ

ومهما جمعت من مال فزيادة الحرص هي الفقر :

وما طمع الإنسان إلا مذلة

ومن قنع استغنى وإن لم ينل وفرا

وبعض الرجال كلما زاده الغنى

غنى زاده بالحرص في نفسه فقرا

وقل لمن ركض وراء هذه الدنيا ركضاً أخل بدينه وأمانته، وأشغل قلبه ونفسه، وتفاخر بتحقيق بعض أمانيه قل له :

إذا أعطتك دنياك الأماني

فقد أعطتك همّا لا يزول

ولا خير في طبيب أمره ونهيه يصدران من حرص على جمع المال، وثم أمر آخر خطير فإياك أن تكون سببًا في هدم ذلك الصرح العظيم، وهو صرح الثقة بالطبيب، فما زال الناس بمختلف طبقاتهم ينظرون إلى الطبيب نظرة احترام وتقدير، إذ يرون فيه النصح والإرشاد والأمانة والمروءة والإنسانية، فلا تقتل هذه النظرة فتبوء بخسران عظيم.

أسأل المولى جل في علاه أن يجعلك قدوة ومثلاً، وأن يصلح حالك وعملك ونيتك، كما أسأله تعالى أن يعز الإسلام بنا، وأن نكون قادة للأمم كما كان أسلافنا إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس